نشأة التفسير العلمي وموقف العلماء منه

محمود محمد محفوظ الزهـري (*)

المبحث الأول

نشأة التفسير العلمي

قبل الحديث عن نشأة التفسير العلمي نوضح فيما يأتي معناه، فالتفسير العلمي مركب إضافي يتكون من كلمة التفسير وكلمة العلمي، ولبيان مصطلح " التفسير العلمي" يجب التعريف بجزئيه :

الفرع الأول : التفسير:-

- **في اللغة :**

الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بَيَانِ شَيْءٍ وإيضاحِهِ (١)، والفَسْرُ: التَفْسِيْرُ؛ وهو بَيَانٌ، وتفصيل الكتبِ، يقال: فسَرْتُ القرآنَ وفَسَّرْتُه (٢)، والفَسْرُ: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل (٣)، ويُراد منه الإيضاح والتبيين، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾(٤) أي: أحسن بيانًا وتفصيلًا (٥) .

(*) هذا البحث من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: [تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم عند الإمام محمد متولي الشعراوي – دراسة موضوعية] تحت إشراف أ.د. محمد محمد عثمان يوسف – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.د. خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(١) معجم مقاييس اللغة – لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) – تحقيق: عبد السلام محمد هارون – الناشر: دار الفكر – طبعة (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) – ج٤ ص٥٠٤ مادة " فسر" .

(٢) المحيط في اللغة – لإسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم ، المشهور بالصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) – تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين – الناشر: بيروت / لبنان – الطبعة الأولى (١٤١٤هـ/١٩٩٤م) – ج٨ ص٣١١ .

(٣) تهذيب اللغة – محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ) – تحقيق: محمد عوض – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت– الطبعة الأولى (٢٠٠١م) – ج١٢ ص٢٨٣ ، لسان العرب – لابن منظور – ج٥ ص٥٥ .

(٤) سورة الفرقان ، آية رقم : ٣٣ .

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن – لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) – تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي – الناشر: دار هجر ، القاهرة – الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) – ج١٧ ص٤٤٧ .

- **في الاصطلاح:**

إذا تتبعنا أقوال العلماء الذين عرفوا مصطلح التفسير، وجدناهم قد عرفوه بتعاريف كثيرة، يمكن إرجاعها كلها إلى واحد منها، فهي وإن كانت مختلفة من جهة اللفظ، إلا أنها متحدة من جهة المعنى وما تهدف إليه[١] .

فقد عرَّفه الإمام أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) **:** " التفسير علم يُبحثُ فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتِها، وأحكامِها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات

لذلك [٢] .

وعرفه الإمام بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) **:** " التفسير علم يُعرفُ به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ " [٣] .

الفرع الثاني : العلمي :-

- **في اللغة :**

وُصف التفسير هنا بأنه علمي نسبة إلى العلم، والعلم لغة هو **:** " اليقين يُقال عَلِمَ يَعْلَمُ إذا تيقن، وجاء بمعنى المعرفة أيضًا كما جاءت بمعناه، ضُمِّنَ كل واحد معنى الآخر لاشتراكِهما في كونِ كلٍّ واحد مسبوقًا بالجهل؛ لأنَّ العلم وإن حصل عن كسب فذلك الكسب مسبوقٌ بالجهل " [٤] .

- **في الاصطلاح:**

---

(٦) التفسير والمفسرون – للذهبي – ج١ ص١٨ بتصرف يسير .

(١) المقصود بقوله " وتتمات لذلك " : هو معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما انبهم في القرآن . يُنظر: البحر المحيط في التفسير – لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) – تحقيق: صدقي محمد جميل – الناشر: دار الفكر ، بيروت – طبعة (١٤٢٠هـ) – ج١ ص٢٦ .

(٢) البرهان في علوم القرآن – لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) – تحقيق: محمد أبو الفضل – الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه – الطبعة الأولى (١٣٧٦هـ/١٩٥٧م) – ج١ ص١٣ .

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت ٧٧٠هـ) – تحقيق: د/ عبد العظيم الشناوي– الناشر: دار المعارف ، القاهرة – الطبعة الثانية (١٩٧٧م) – ج٢ ص٤٢ .

(٤) يُنظر :

تعريف العلم يختلف باختلاف معرّفيه، تبعًا لمجال تخصصهم، **فعند أهل التدوين:** هو مجموعة المسائل المنضبطة بجهة واحدة في موضوعها، أو في غايتها، **أما عند الحكماء:** فهو صورة الشيء الحاصلة في الذهن، **أما المتكلمون:** فهو صفة يتجلى بها الأمر لمن قامت به، **والماديون:** يقصرون العلم على حصول اليقينيات المستندة إلى الحس، فيخرجون الغيبيات، وما لا تقع عليه الحواس عن مسمى العلم، **أما علماء الشرع:** فالعلم عندهم يُطلق على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله في عباده وخلقه وأوامره ونواهيه [١] .

هذه بعض اصطلاحات العلماء في معنى العلم، إلا أنَّ الناظر في كتب التفسير العلمي لا يجد هذه الاصطلاحات أو أحدها هي المراد من "العلمي" أو "العلم"، بل إنَّ الذي يُقصد من العلم في هذا الجانب هو: العلم الطبيعي القائم على دراسة ما في الكون من مواد وعناصر وكائنات، لها خصائصها الذاتية وأنظمتها التي تحكمها من كيمياء وطبيعة وميكانيكا، وغير ذلك من علوم الطب والرياضة والفلك، وما يتضمنه ذلك من حقائق كونية، وأنَّ العمل في إطار هذا المفهوم للعلم هو تطبيق العلم عمليًّا باستعمال الأجهزة والأدوات والوسائل الأخرى الحديثة من مختبرات ومراصد وتجارب واستنباطات منطقية وغير ذلك [٢] .

وبعد عرض أقوال العلماء في المراد بالتفسير لغة واصطلاحًا وكذلك العلم، يمكن التعرف الآن على مفهوم " التفسير العلمي" باعتباره مركب إضافي من الكلمتين معًا، وإليك طرفًا من عبارات المتأخرين في تعريف التفسير العلمي :-

١) **تعريف الشيخ / أمين الخولي**[٣] **:** هو " التفسير الذي يُحَكِّم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف

- مناهل العرفان في علوم القرآن – للزُّرْقاني (ت ١٣٦٧هـ) – ج١ ص١٤ : ١٥ .
- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – د/ فهد بن عبد الرحمن الرومي – الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت – الطبعة الثالثة (١٤١٨هـ/١٩٩٧م) – ج٢ ص٥٤٥ : ٥٤٦ .

(١) القرآن وإعجازه العلمي – لمحمد إسماعيل إبراهيم – ص٤٣ : ٤٤ ، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – لفهد الرومي – ج٢ ص٥٤٦ بتصرف.

(٢) الشيخ أمين الخولي: من أعضاء المجمع اللغوي بمصر، ولد في قرية شوشاي بالمنوفية وتعلم بالأزهر، وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي، وعين للشؤون الدينية في السفارة المصرية بروما، وكان وكيلا لكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول الى سنة ١٩٥٣ فمديرا للثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم الى سنة ١٩٥٥ وبها أحيل إلى المعاش ومثل مصر في عدة مؤتمرات، وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٦٦م . **نقلا عن:** الأعلام – لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ) – الناشر: دار العلم للملايين، بيروت / لبنان – الطبعة الخامسة عشر (٢٠٠٢م) – ج٢ ص١٦ .

العلوم، والآراء الفلسفية منها " [١]، ونَقَلَ هذا التعريف بحروفه الشيخ محمد حسين الذهبي [٢] .

٢) **تعريف الدكتور/ موسى لاشين** [٣] **:** " يُقصد بالتفسير العلمي: التفسير الذي يُحكِّم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويحاول استخراج العلوم المختلفة من آياته " [٤] .

٣) **تعريف الدكتور/ محمد لطفي الصباغ** [٥] **:** " إنه تحكيم مصطلحات العلوم في فهم الآية، والربط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم التجريبية والفلكية والفلسفية " [٦] .

٤) **تعريف الدكتور/ عبد المجيد المحتسب** [٧] **:** " هو التفسير الذي يتوخى أصحابه إخضاع عبارات القرآن للنظريات والاصطلاحات العلمية، وبذل أقصى الجهد في استخراج مختلف مسائل العلوم والآراء الفلسفية منها " [٨] .

---

(٣) التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم – لأمين الخولي (ت ١٣٨٥هـ) – الناشر: دار الكتاب اللبناني الأولى – طبعة سنة (١٩٨٢م) – ص١٩ .

(٤) وذلك في كتابه: التفسير والمفسرون – مرجع سابق – ج٢ ص٤١٧ .

(٥) موس لاشين: الملقب بالشيخ الدكتور موسى لاشين، من مواليد قرية أسنيت مركز بنها بمحافظة القليوبية بجمهورية مصر العربية .عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ومجمع البحوث الإسلامية والمركز الدولي للسيرة والسنة بوزارة الأوقاف المصرية توفي عام ٢٠٠٩م نقلا عن : **(الموسوعة الحرة بالإنترنت ويكيبيديا** https://ar.wikipedia.org) .

(٦) اللآلئ الحسان في علوم القرآن – د/ موسى شاهين لاشين (ت ١٤٣٠هـ) – الناشر: دار الشروق ، القاهرة – الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)– ص٣٣٦ .

(٧) هو الدكتور محمَّد بن لطفي، بن عبد اللطيف، بن عمر، الصبَّاغ، أستاذ علوم القرآن والحديث بكلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض وُلد بدمشقَ سنة (١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م) ، من عُلَماء العربيَّة وأُدبائها، وهو باحثٌ ومحقِّق، وكاتبٌ ومصنِّف، وخَطيبٌ ومحاضِر . **نقلا عن:** الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة .

(٨) لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير – د/ محمد لطفي الصباغ – الناشر: المكتب الإسلامي ، بيروت / لبنان – الطبعة الثالثة (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) – ص٢٩٣ .

(١) هو الدكتور عبد المجيد عبد السلام سالم المحتسب ولد في مدينة الخليل بفلسطين سنة ١٩٣٧م، وأتم تعليمه الابتدائي والثانوي بها، حصل على الدكتوراه من جامعة القاهرة، ويعمل أستاذًا في قسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة الأردنية، من مؤلفاته: طه حسين مفكرًا، اتجاهات التفسير في العصر الراهن . **نقلا عن :** موسوعة أعلام فلسطين – لمحمد عمر حمادة – الناشر: دار الوثائق ، دمشق – الطبعة الثانية (٢٠٠٠م) – **ج١ ص٥٢ .**

(٢) اتجاهات التفسير في العصر الراهن – د/ عبد المجيد عبد السلام المحتسب (ت ١٤٣٤هـ) – الناشر: منشورات مكتبة النهضة الإسلامية ، عمان / الأردن – الطبعة الثالثة (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) – ص٢٤٧ .

٥) **تعريف الدكتور/ زغلول النجار:** " إنَّ التفسير العلمي يُقصد به توظيف كل المعارف المتاحة لحسن فهم دلالة الآية القرآنية، وهذه المعارف قد تكون حقائق وقوانين، كما قد تكون فروضًا ونظريات، ونحن ندعو إلى توظيف الحقائق والقوانين كلما توفرت فإن لم تتوفر فلا أرى حرجًا من توظيف النظريات " [١] .

٦) **تعريف الشيخ / عبد المجيد الزنداني [٢]:** " هو الكشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية " [٣] .

٧) **تعريف الدكتور أحمد أبو حجر [٤]:** " هو التفسير الذي يحاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن، في ضوء ما أثبته العلم، والكشف عن سرٍّ من أسرار إعجازه" [٥] .

٨) **تعريف الدكتور/ فهد الرومي:** " هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية، ومكتشفات العلم التجريبي، على وجه يظهر به إعجاز للقرآن، يدل على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان " [٦] .

وبنظرة نقدية على التعريفات السابقة يمكن الوقوف عند الملاحظات التالية:

أولا: يُلاحظ أنَّ إطلاق وصف (العلمي) على هذا اللون من التفسير دون سواه فيه مجافاة للحقيقة من جهة، وغضٌّ من قيمة العلوم الأخرى من جهة ثانية،

---

(٣) من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم – د/ زغلول النجار – الناشر: مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة – الطبعة الثالثة عشر (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) – ص٣٥ .

(٤) عبد المجيد بن عزيز الزنداني هو سياسي وداعية يمني ، ولد في محافظة إب عام ١٩٤٢م ، وهو المؤسس لجامعة الإيمان باليمن ومؤسس الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة في مكة المكرمة . **نقلا عن: (الموسوعة الحرة بالإنترنت ويكيبيديا** (https://ar.wikipedia.org)

(٥) تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة – للشيخ عبد المجيد الزنداني وأخرين – الناشر: صادر عن هيئة الإعجاز العلمي برابطة العالم الإسلامي – بدون ذكر تاريخ الطبعة – ص٢٤ .

(٦) هو الأستاذ الدكتور أحمد عمر أبو حجر : أستاذ التفسير بكلية أصول الدين بالجامعة الأسمرية الإسلامية بليبيا . **نقلا عن:** موقع الجامعة الأسمرية /http://www.asmarya.edu.ly/ara

(٧) التفسير العلمي للقرآن في الميزان – د/ أحمد عمر أبو حجر – الناشر: دار المدار الإسلامي ، بيروت – الطبعة الثانية (٢٠٠١م) – ص٧٢ .

(٨) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – د/ فهد بن عبد الرحمن الرومي – مرجع سابق – ج٢ ٥٤٩ .

ويُفهم منه أنَّ ألوان التفسير الأخرى ليست علمية، كالتفسير الفقهي والعقدي واللُّغوي، ولذا فإنَّ الأولى تقييده بالتجريبي أو الكوني، فيقال: التفسير العلمي التجريبي، أو التفسير العلمي الكوني [١] .

ثانيا: في تعريف **الخولي والصباغ والذهبي ولاشين والمحتسب،** جاء النص على تحكيم الاصطلاحات العلمية على آيات القرآن وإخضاع عبارات القرآن لها، وفي هذا عكس للقضية، فالنص القرآني هو الحاكم على التفسير لا العكس، كما أنَّ الاصطلاحات العلمية تشمل أربعة أمور هي: الفرضيات، والنظريات، والمكتشفات، والحقائق العلمية؛ ولذا فلابد من تحديد المراد بالمصطلحات العلمية هنا، كما أنَّ القضايا الفلسفية لا علاقة لها بالعلم التجريبي والكوني ولا تدخل ضمن مسمى التفسير العلمي عند أصحابه [٢] .

وقد مال هؤلاء المعرِّفون الخمسة إلى الإيحاء للقارئ بموقفهم الرافض للتفسير العلمي، وهو ما فطن إليه أحد الباحثين حين قال : " إنَّ كل من يُعرِّف التفسير العلمي بهذا الشكل إنما يُعرّفه من وجهة نظره المانعة لهذا الاتجاه في التفسير " [٣] .

فهذه بعض عبارات العلماء المعاصرين حول معنى " التفسير العلمي" وأكثرها لا يسلم من نقد أو اعتراض [٤]، إلا أنَّ هذه التعريفات على كثرتها تؤكد أنَّ هذا الاتجاه لم يعد مهملًا بل أصبح واقعًا وعلمًا له حدود وضوابط، **ويرى الباحث** أنَّ التفسير العلمي هو: اجتهاد في فهم القرآن الكريم، وتوظيف العلوم المختلفة، والتي منها العلوم الطبيعية والتجريبية التي توصل إليها العلم الحديث مع مراعاة الشروط والضوابط التي لابد من أخذها في الاعتبار عن التعرض للتفسير .

المبحث الثاني

موقف العلماء من التفسير العلمي

اهتم المسلمون بالقرآن الكريم منذ نزوله على النبي ﷺ تلاوةً وتدبرًا وعملًا بما فيه من توجيهات رشيدة، ولما كان القرآن الكريم معجزة خالدة لا يقف إعجازه على عصر معين، كما يقول الشيخ الشعراوي: " أنَّ للقرآن عطاء لكل جيل يختلف

---

(١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – د/ فهد بن عبد الرحمن الرومي – ج٢ ص٥٤٧ .

(٢) التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم جذوره وتطبيقاته والموقف منه – للدكتور/ عادل علي الشدي – ص١٣ .

(٣) التفسير العلمي للقرآن في الميزان – د/ أحمد عمر أبو حجر – ص٧١ .

(٤) يُنظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – د/ فهد بن عبد الرحمن الرومي – ج٢ ص٥٤٧ : ٥٥٠ ، التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم جذوره وتطبيقاته والموقف منه – للدكتور/ عادل علي الشدي – ص١٠ : ١٦ .

عن عطائه للجيل السابق؛ ذلك أنَّ القرآن للعالمين" [١]، فلقد ظهر التفسير العلمي للقرآن الكريم؛ لإبراز هداية القرآن التي أقامها على النظر في ملكوت الله تعالى، وتعرف أسرار الكون، لاسيما وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو إلى التدبر والتفكر في آيات الله الكونية، يقول جل شأنه: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾[٢]، ويقول ﷻ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[٣].

وقد طال الجدل حول جواز تفسير الإشارات الكونية الواردة في كتاب الله على أساس من معطيات علوم العصر وفنونه، والانطلاق من ذلك إلى إثبات سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى العديد من حقائق الوجود[٤]، وتفاوتت مواقف العلماء حول التفسير العلمي، فكثيرًا منهم لم يُسلم به، ومنهم من أفرط فيه ومنهم من توسط، ولكل فريق من هؤلاء حججه، وأدلته التي دعته لاتخاذ ذلك الموقف، وبيان ذلك من خلال هذين المبحثين:

- المبحث الأول : **المعارضون للتفسير العلمي .**
- المبحث الثاني: **المؤيدون للتفسير العلمي .**

المبحث الأول

المعارضون للتفسير العلمي

إن المعارضين للتفسير العلمي جمع لا يُستهان به، ولهم آراؤهم وأدلتهم التي يستندون إليها ويعتبرونها حاسمة في الدلالة على ما ذهبوا إليه من انكار واستبعاد هذا اللون، وهم متفاوتون فيما بينهم في المعارضة و الانكار إلى فريقين:

الفريق الأول: معارضون مطلقا، ومنهم:-

(١) معجزة القرآن – لمحمد متولي الشعراوي – ج١ ص٢٢ .
(٢) سورة الأعراف ، من آية رقم : ١٨٥ .
(٣) سورة فصلت ، آية رقم : ٥٣ .
(٤) مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة – د/زغلول راغب محمد النجار – الناشر: دار المعرفة (بيروت ، لبنان) – الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م) – ص٨٥ .

١) الإمام الشاطبي (٧٩٠هـ): وقد أقام رفضه للتفسير العلمي على مفهوم الأمية فـ "هذه الشريعة المباركة أمية؛ لأن أهلها كذلك"[١]، كما قرر أنَّ علم التفسير مطلوب فيما يتوقف عليه فهم المراد من الخطاب، فإذا كان المراد معلومًا فالزيادة على ذلك تكلُّف، ثم مثّل – رحمه الله – على ذلك بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾[٢] ثم يقول " فمن فسرها بعلم الهيئة الذي ليس تحته عمل غير سائغ؛ ولأن ذلك من قبيل ما لا تعرفه العرب، والقرآن إنما نزل بلسانها وعلى معهودها، وكذلك القول في كل علم يُعزى إلى الشريعة لا يؤدي فائدة عمل، ولا هو مما تعرفه العرب؛ فقد تكلَّف أهل العلوم الطبيعية وغيرها الاحتجاج على صحة الأخذ في علومهم بآيات من القرآن، وأحاديث عن النبي ﷺ "[٣] .

٢) الدكتور/ محمد كامل حسين[٤] (ت ١٣٩٧هـ): حيث يرفض مبدأ وجود العلوم في القرآن لثلاثة أسباب:

- اختلاف الموضوع بين العلم والقرآن .
- اختلاف المنهجية في تبليغ حقائقهما .
- تخصيص الدين بمهمة يعجــز العلم عن القيام بها، فبينما يهتم العلم الحديث بالطبيعيات تختص الكتب المنزلة بقوانين النفس البشرية والإلهيات[٥]، " فهذه (يعني الكتب المنزلة) ليس لها بالعلم الحديث صلة ولا يضيرها في شيء أن تكون بمعزل عن هذه العلوم" [١] .

---

(١) الموافقات – للشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ) – تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان – الناشر: دار ابن عفان (القاهرة) – الطبعة الأولى (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) – ج٢ ص١٠٩ .

(٢) سورة ق ، آية رقم : ٦ .

(٣) الموافقات – للشاطبي – ج١ ص٥٩ بتصرف يسير جدا .

(٤) الدكتور محمد كامل حسين، وُلد سنة (١٩٠١م) في قرية سبك الضحاك محافظة المنوفية بمصر، وهو أستاذ جراحة عظام مصري وأديب، وأول مدير لجامعة إبراهيم (جامعة عين شمس حاليًا) عند إنشائها عام ١٩٥٠، وأول رئيس لجمعية جراحة العظام المصرية عند إنشائها سنة ١٩٤٨م وكان أول مصري يجمع بين جائزتي الدولة في الأدب والعلوم توفي سنة (١٩٧٧م) . نقلا عن موقع ويكبيديا https://cutt.us/pWLLB

(١) التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق – د/هند شلبي – الناشر: مطبعة تونس قرطاج – طبعة (١٤٠٦هـ/١٩٨٥م) – ص٢٥ .

٣) الدكتور/ عاطف أحمد[٢] في كتابه " نقد الفهم العصري للقرآن" حيث استمد مادة كتابه هذا من القضايا التي طرحها الدكتور/ مصطفى محمود في كتابه "القرآن: محاولة لفهم عصري"، وأيد الدكتور عاطف أحمد موقفه بثلاثة أدلة، وهي:

- عدم مطابقة المعاني العلمية الحديثة للتركيب اللُّغوي الحرفي في القرآن كما فسره اللُّغويون والمفسرون الأوائل .
- عدم مطابقة مجموع الآيات في الموضوع الواحد لنفس الحقيقة العلمية المعاصرة .
- مطابقة ما في القرآن لما كان عليه الناس من المعاني زمن النزول، فالحقائق القرآنية تعتمد في نظر الدكتور عاطف أحمد على الخصائص الظاهرية للأشياء، وعلى المفاهيم السائدة في عصر النزول، ويظهر ذلك جليًا على المستوى اللُّغوي في القرآن، وعلى المستوى الفكري الذي تناول به المفسرون معاني القرآن، وقد أورد الدكتور عاطف أحمد لبيان مذهبه أمثلة متعددة ناقش في أغلبها الدكتور/ مصطفى محمود[٣] .

التعقيب على هذه الآراء:

بالنظر إلى كلام الإمام الشاطبي يتبين " أنه – رحمه الله – لم يرفض العلم مُطلقًا في القرآن إنما رفض اشتماله على العلوم التي لم تكن معهودة لدى العرب زمن نزوله، وأنَّ ما ورد في القرآن من آيات العلم يمتاز بسمة الصدق لأن القرآن اقتصر على العلوم الصحيحة دون الباطلة مما كان موجودًا لدى العرب، ومن هنا لم يطرح الإمام الشاطبي مُشكل التوفيق بين الشريعة والعلوم الحكيمة لعدم وجود مناسبة المقارنة بينهما في نظره "[٤] .

وهذا الذي ذهب إليه الإمام الشاطبي كان محل نقد ومؤاخذة، يقول الإمام ابن عاشور: " وهذا مبني على ما أسسه من كون القرآن لما كان خطابا للأميين وهم العرب فإنما يعتمد في مسلك فهمه وإفهامه على مقدرتهم وطاقتهم، وأن الشريعة أمية، وهو أساس واهٍ لوجوه ستة:-

---

(٢) الذكر الحكيم – د/محمد كامل حسين – الناشر: مكتبة النهضة المصرية – دون ذكر تاريخ ورقم الطبعة – ص١٨٣ .

(٣) لم أقف على ترجمة للدكتور/ عاطف أحمد .

(٤) يُنظر: نقد الفهم العصري للقرآن – د/عاطف أحمد – الناشر: دار الطليعة (بيروت ، لبنان) – دون ذكر رقم وتاريخ الطبعة – ص٥ ، ص٤٥ : ٦١ ، **وينظر أيضًا:** التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق – د/هند شلبي – ص٣١ : ٣٢ .

(٥) نفس المرجع السابق – ص٢٢ .

- الأول: أنَّ ما بناه عليه يقتضي أن القرآن لم يقصد منه انتقال العرب من حال إلى حال وهذا باطل لما قدمناه، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا ﴾ (١) .
- الثاني: أنَّ مقاصد القرآن راجعة إلى عموم الدعوة وهو معجزة باقية فلا بد أن يكون فيه ما يصلح لأن تتناوله أفهام من يأتي من الناس في عصور انتشار العلوم في الأمة .
- الثالث: أنَّ السلف قالوا: إنَّ القرآن لا تنقضي عجائبه يعنون معانيه ولو كان كما قال الشاطبي لا نقضت عجائبه بانحصار أنواع معانيه .
- الرابع: أنَّ من تمام إعجازه أن يتضمن من المعاني مع إيجاز لفظه ما لم تفِ به الأسفار المتكاثرة.
- الخامس: أنَّ مقدار أفهام المخاطبين به ابتداء لا يقضي إلا أن يكون المعنى الأصلي مفهومًا لديهم فأما ما زاد على المعاني الأساسية فقد يتهيأ لفهمه أقوام، وتحجب عنه أقوام، وَرُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه .
- السادس: أن عدم تكلم السلف عليها إن كان فيما ليس راجعًا إلى مقاصده فنحن نساعد عليه، وإن كان فيما يَرجِعُ إليها فلا نسلم وقوفهم فيها عند ظواهر الآيات بل قد بينوا وفصلوا وفرعوا في علوم عنوا بها، ولا يمنعنا ذلك أن نقفي على آثارهم في علوم أخرى راجعة لخدمة المقاصد القرآنية أو لبيان سعة العلوم الإسلامية" (٢) .

فـ " قضية أمية الأمة، وأمية الشريعة، التي أتى الشاطبي على ذكرها وهي قضية خطيرة، إذا أخذناها على إطلاقها فإنها تؤدي إلى محاصرة العقل فهل يُعقل أن تكون هذه الأمية خالدة ؟ أو أنها مرحلة مؤقتة، كان العرب عليها، ومن ثم انتهت وأصبحت الأمة تكتب وتحسب ؟ وأرى أن الأمة، في مرحلة من حياتها، قد تكون أمية لا تقرأ، ولا تكتب ولا تحسب، ثم يتغير حالها إلى مرحلة أخرى، فتُصبح أمة عالمة قارئة فهل يُمكن أن تبقى الأمة متوقفة على الوسائل الأمية في النظر والحكم والعلم ؟ " (٣) .

وإذا قربنا بين موقف الإمام الشاطبي وموقف الدكتور/ محمد كامل حسين فإننا نجدهما يلتقيان في النتيجة وهي تبليغ الشريعة إلى الجميع دون عناء أو مشقة، وهما يعتقدان أنه في كل هذا لا نحتاج إلى البحث عن العلوم في القرآن بحجة

---

(١) سورة هود ، من آية رقم : ٤٩ .
(٢) التحرير والتنوير – لابن عاشور – ج١ ص٤٤ : ٤٥ .
(٣) كيف نتعامل مع القرآن – للغزالي، محمد أحمد السقا الغزالي (ت ١٤١٦ه) – الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة السابعة (٢٠٠٥م) ص ١٩٩ : ٢٠٠ .

الدفاع عنه أمام التقدم الذي أصبحت عليه العلوم الحديثة والتي خشي البعض منها على القرآن، وإن موقف كل من الإمام الشاطبي والدكتور محمد كامل حسين يعتبر أنَّ للقرآن استقلالية في موضوعه ومنهجيته وأهدافه تُميزه عن العلوم، دون أن ينال خلوه منها من مكانته، بل ربما كان ذلك عاملًا قويًّا في الدعوة إلى التشبث بالقرآن وما يدعو إليه من مبادئ إنسانية ضرورية ليس في استطاعة العلوم أن توفرها[١] .

أما مناقشة نظرية الدكتور عاطف أحمد عن التناقض الذي قال به بين القرآن الكريم والعلوم، فمن عدة أمور منها:

- الاتفاق الكلي بين القرآن ومقررات العلوم الحديثة .
- تجنب القرآن ذكر النظريات الخاطئة السائدة في عصره .
- العلم الحديث ضروري لفهم بعض معاني القرآن، كما يصلح ما تم الرد به على مذهب الإمام الشاطبي الذي قيد المفاهيم القرآنية بمفاهيم العرب الأميين فعطل بذلك طريق الاستنباط، يصلح للرد على بعض ما ذهب إليه الدكتور عاطف أحمد[٢] .

الفريق الثاني: معارضون محترزون، ومنهم:-

١) الشيخ محمود شلتوت (ت ١٣٨٣هـ):

فقد طالب – رحمه الله – في مقدمة تفسيره بتنزيه القرآن عن استنباط العلوم الكونية والمعارف النظرية الحديثة منه احتفاظًا بقدسيته وجلاله، يقول: " فإنَّ طائفة أخرى هي طائفة المثقفين الذين أخذوا بطرف من العلم الحديث، وتلقنوا أو تلققوا شيئًا من النظريات العلمية والفلسفية والصحية وغيرها، أخذوا يستندون إلى ثقافتهم الحديثة، ويُفسرون آيات القرآن على مقتضاها .

إلى أن قال – رحمه الله – بعد أن ذكر عدد من الآيات القرآنية وعرض أقوال من قاموا بتفسيرها تفسيرًا علميًا وبيّن جوانب الخطأ في هذا الاتجاه: " فلندع للقرآن عظمته وجلالته، ولنحفظ عليه قدسيته ومهابته، ولنعلم أنَّ ما تضمنه من الإشارة إلى أسرار الخلق وظواهر الطبيعة إنما هو لقصد الحث على التأمل والبحث والنظر؛ ليزداد الناس إيمانًا مع إيمانهم، وحسبنا أنَّ القرآن لم يُصادم – ولن يُصادم – حقيقة من حقائق العلوم تطمئن إليها العقول" [٣] .

٢) الأستاذ أمين الخولي (١٣٨٥هـ)[٤]:

---

(١) التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق – د/هند شلبي – ص٢٦ : ٢٧ .
(٢) **يُنظر في ذلك:** نفس المرجع السابق – ص٣٥ ، ص٥٤ : ٥٨ .
(١) تفسير القرآن الكريم " الجزاء العشرة الأولى " – للشيخ/ محمود شلتوت (ت ١٣٨٣ه) – الناشر: دار الشروق (القاهرة) – الطبعة الثانية عشرة (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) – ص١١ : ١٤ .
(٢) سبق ترجمته ص٦٥ .

حيث ذكر أدلة الإمام الشاطبي في الاعتراض على التفسير العلمي ثم أضاف إليها أدلة تؤيد المنع منه من نواحٍ ثلاث:

- الناحة اللُّغوية: حيثُ تم تفسير ألفاظ القرآن من خلال التفسير العلمي بمعانٍ وإطلاقات لم تُعرف لها أثناء نزول القرآن .
- الناحيةُ الأدبية والبلاغية: فكيف يُخاطب الناس وقت نزول القرآن ويُتحدُّون بمعانٍ لم تعرفها الدنيا إلا بعد نزول القرآن بقرون .
- الناحية الدينيةُ أو الاعتقادية: فكيف تؤخذ جوامع الطب والفلك والهندسة والكيمياء من القرآن، وهي جوامع لا تنضبط بل تتغيّر سريعًا [١] .

ثم ذكر أنَّ الربط بين القرآن الكريم والحقائق العلمية المختلفة ربما كان ضرره أكبر من نفعه خصوصًا وأنَّ القرآن خطاب لعامة الناس: العلماء والجُهال، وهذا الخطاب العام لا تدخل فيه دقائق قوانين العلوم في معادلات جبرية وأرقام حسابية، يقول – رحمه الله – : " إنَّ هذا التفصيل العلمي المستقى من العلوم في عهودها المتأخرة، هل هو من مدلولات ألفاظ الآيات أو لا ؟ إنْ كان من مدلولات ألفاظ الآيات فكيف لم يفهمه العرب الخُلَّص الذين نزل عليهم وبلغتهم ؟ وإن كانوا فهموه فلماذا لم تقم نهضتهم العلمية التجريبية على هذه الآيات الشارحة والمفصلة لهذه الحقائق والنظريات العلمية المفهمة لدقائقها، وإن كانت لم تُفهم منها ولم تدل عليها ولم يدركها أصحاب اللغة الخُلَّص في زمن نزولها – كما واقع الحال – فكيف تكون هي معاني القرآن المرادة له والمقصودة منه ؟ ! وكيف يصح تفسيره بها ؟ وأين بلاغة القرآن حينئذ والبلاغة كما يقولون: هي مُطابقة الكلام لمقتضى الحال" [٢] .

٣) الدكتور/ محمد حسين الذهبي (ت ١٣٩٨هـ):

من الملاحظ: أن الدكتور الذهبي – رحمه الله – بعد أن عرض لأقوال العلماء المؤيدين والمعارضين لفكرة التفسير العلمي في كتابه التفسير والمفسرون، قد أيَّدَ ما ذهب إليه الإمام الشاطبي – رحمه الله – حيث قال معنونًا كلامه بقوله: " اختيارنا في هذا الموضوع: أما أنا فاعتقادي: أن الحق مع الشاطبي – رحمه الله – لأن الأدلة التي ساقها لتصحيح مدعاه أدلة قوية، لا يعتريها الضعف، ولا يتطرق إليها الخلل، ولأن ما أجاب به على مخالفيه أجوبة سديدة دامغة لا تثبت أمامها حججهم ولا يبقى معها مُدَّعاهم" [٣] ثم ساق أمورًا أخرى تقوي اعتقاده بأن

---

(٣) التفسير : نشأته ، وتدرجه ، وتطوره – أ/ أمين الخولي – الناشر: دار الكتاب اللبناني (بيروت) – طبعة (١٩٧٢) – ص١٩ : ٢٧ بتصرف يسير .

(٤) نفس المرجع السابق – ص٦٠ .

(١) التفسير والمفسرون – للذهبي ـــ ج٢ ص٣٥٩ .

الحق في جانب الإمام الشاطبي[١]، وهذه الأمور التي ذهب إليها هي نفس ما ذهب إليه الأستاذ أمين الخولي .

٤) الدكتورة عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ" (ت ١٤١٨هـ):

حيث تقول: " إنَّ هذا المسلك ضحك على العقول ببدع من التأويلات تُقدم للناس من القرآن كل علوم الدنيا وعصريات التكنولوجيا" [٢] .

٥) الشيخ مناع القطان (ت ١٤٢٠هـ):

حيث ذكر أنَّ إعجاز القرآن ليس في اشتماله على النظريات التي تتجدد وتتبدل بل في حثه على التفكير، وقد ذكر بعض الآيات الداعية إليه وتبعها بقوله: " وهكذا فإن إعجاز القرآن العلمي في أنه يحث المسلمين على التفكير، ويفتح لهم أبواب المعرفة، ويدعوهم إلى ولوجها " [٣] .

كما أنه – رحمه الله – رفض الغلو في هذا اللون من التفسير حيث قال: " وإني لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، وأن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها، كأنما ليعظموه بهذا ويكبروه .

إن الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة، أما ما يصل إليه البحث الإنساني - أيًّا كانت الأدوات المتاحة له - فهي حقائق غير نهائية ولا قاطعة، وهي مُقيدة بحدود تجاربه وظروف هذه التجارب وأدواتها، فمن الخطأ المنهجي - بحكم المنهج العلمي الإنساني ذاته - أن نعلق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية، وهي كل ما يصل إليه العلم البشري" [٤] .

التعقيب على هذه الآراء:

يرى الباحث أنَّ سوء الظن غير جائز بهذا الفريق ومن على شاكلته؛ لأنهم كان غرضهم صون القرآن الكريم عن تقلبات العلوم الحديثة، فهذا الاتجاه – من وجهة نظرهم – يُعرض النصوص القرآنية لتقلبات العلم، فضلًا عن أنهم يرونه صارفًا عن غاية القرآن من النزول، وهي الهداية والإعجاز، أما اتجاه الرفض المُطلق فغير مقبول؛ لأننا أمرنا بتدبر آيات القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[٥]، كما أُمرنا

---

(٢) ينظر: نفس المرجع السابق– ج٢ ص٣٥٩ : ٣٦٢ .

(٣) القرآن وقضايا الإنسان – د/عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ" (ت ١٤١٨ه) – الناشر: دار المعارف ، القاهرة – طبعة (١٣٩٩ه/١٩٧٩م) – ص٤٢٦ .

(٤) مباحث في علوم القرآن – لمناع بن خليل القطان (ت ١٤٢٠هـ) – الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض – الطبعة الثالثة (١٤٢١ه/٢٠٠٠م) – ص٢٨٠ .

(١) مباحث في علوم القرآن – لمناع القطان – ص٢٨٢ .

(٢) سورة النساء ، آية رقم : ٨٢ .

بالتأمل والتفكر والنظر في الكون، قال ﷻ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ ﴾[2] .

وعند تدقيق النظر في الأقوال السابقة نجد أنها تُعارض القول بالتفسير العلمي، ومن جهة أخرى تؤكد على عدم التصادم بين ما جاء في القرآن وما قررته العلوم، فمثلا نرى الدكتورة/ عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطئ" لا تُمانع في أن يخوض أهل الاختصاص العلمي في تفسير الآيات التي لها مساس باختصاصهم، فهي تقول: " قد أفهم أن يتكلم طبيب فيما يفهمه من آيات قرآنية يمكن أن تتصل بالطب، وأن يكتب خبير زراعي فيما يفهمه من آيات القرآن في النبات والفاكهة والزرع ولواقح الرياح، وأن يلتفت خبير كيميائي إلى آية القدرة الإلهية في تسوية بنان الإنسان لا يشتبه ببنان غيره من ملايين البشر" [3] .

أما ما ذهب إليه الدكتور الذهبي، فيمكن حمله على أنه مجرد تشدد على المسرفين في التفسير العلمي وليس بمعارضة للفكرة في حد ذاتها ويؤيد ذلك: أنه قال في نهاية الرأي الذي اختاره وأيده عن الذين يؤيدون التفسير العلمي: " وحسبهم أن لا يكون في القرآن نص صريح يُصادم حقيقة علمية ثابتة، وحسب القرآن أنه يمكن التوفيق بينه وبين ما جَدَّ ويَجِدّ من نظريات وقوانين علمية، تقوم على أساس من الحق، وتستند إلى أصل من الصحة" [4]، أما عن الرد على الدليل البلاغي الذي استند إليه الدكتور الذهبي حين قال: " معلوم أن القرآن في أعلى درجات البلاغة، فإذا نحن ذهبنا مذهب أرباب التفسير العلمي وقلنا بأن القرآن متضمن لكل العلوم، وألفاظه متحملة لهذه المعاني المستحدّثة، لأوقعنا أنفسنا في ورطة لا خلاص لنا منها إلا بما يخدش بلاغة القرآن، أو يذهب بفطانة العرب" [5] .

وهذا الرأي مردود بما هو معلوم من صلاحية القرآن لكلِّ العصور إلى قيام الساعة، وعليه فيجب أن يفهمه أهل كل عصر بما يتلاءم مع أفهامهم وتصوراتهم

---

(٣) سورة فصلت ، من آية رقم : ٥٣ .
(٤) سورة نوح ، الآيات ١٥ : ١٩ .
(٥) القرآن والتفسير العصري – د/عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ" (ت ١٤١٨ه) – الناشر: دار المعارف ، القاهرة – طبعة (١٩٧٠م) – ص٨٥ ، **وينظر أيضا:** التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق – د/هند شلبي – ص٤٢ .
(١) التفسير والمفسرون – د/الذهبي– ج٢ ص٣٦٢ .
(٢) نفس المرجع السابق – ج٢ ص٣٦٠ .

ومعارفهم، وهذا هو كمال البلاغة، فهل مع هذا الكمال يكون خدش للبلاغة؟ وليس في ذلك ضياع لفطانة العرب، فالله ﷻ لم يُكلفهم إلّا بما تُدركه أفهامهم، وكل عصر مُكلف بما لديه من قدرات ومعارف، وبهذا فقد جعل الله كتابه نبعًا فياضًا لا ينتهي خيره، ولا يجف عطاؤه، يصلح لكل زمان وعصر [١].

فالحاصل – **كما يرى الباحث** – أنَّ الذي رفضوه هو الغلو في هذا اللون من التفسير ومحاولة إخضاع الآيات لتوافق نظريات العلم الحديث، وهذا أمر لا يجوز في حق كتاب الله تعالى .

مبررات الرافضين للمنهج العلمي في تفسير القرآن الكريم:

وهكذا يرى الفريقان المعارضان للتفسير العلمي التمسك بالقرآن موضوعًا ومنهجًا وأهدافًا، بينما اختلف الفريق الثاني عن الأول من حيث أنهم لم يجعلوا القطيعة حاسمة بين القرآن والعلوم الحديثة، فهم وإن عارضوا القول بالتفسير العلمي إلا أنهم أكدوا على عدم وجود تضارب بين حقائق العلم وحقائق القرآن، ويقوم رفض المعارضين للتفسير العلمي على طائفة من الأسباب يُمكن إجمالها فيما يلى:-

- أن القرآن موجه إلى عموم الناس بينما يتوجه العلم إلى أهل الاختصاص، لذلك لا يعتمد في الحقائق القرآنية إلا على المشاهد والأمور القوية من الإدراك .
- أن الدعوة القرآنية إلى النظر في الكون والعلوم هي دعوة عامة إلى موضع العظة والتفكير، وليست بدعوة إلى بيان دقائقها وكشف علومها .
- أن إعجاز القرآن ثابت وهو غنى أن يسلك في بيانه هذا المسلك المتكلف الذى قد يذهب بإعجازه .
- أن التفسير العلمي مدعاة للذلل لدى أكثر الذين خاضوا فيه، لأن عملية التوفيق تفترض غالبًا محاولة للجمع بين موقفين يتوهم أنهما متعاديان ولا عداء، أو يظن أنها متلاقيان ولا لقاء، بمعنى أنه لا يحالف النجاح محل عملية من عمليات التوفيق .
- أن تناول القرآن بهذا التفسير يضطر المفسر إلى مجاوزة الحدود التي يحتملها النص القرآني .
- القرآن يخاطب النفوس والعقول، بينما يخاطب العلم العقول، فكانت الأهداف في القرآن نفسية وجدانية مطيتها التأمل المتدين والاعتبار النفسي، بينما لا تهدف العلوم إلى شيء من ذلك .

---

(٣) يُراجع في ذلك: التفسير العلمي بين القبول والرد "عرضًا ودراسة" – د/عبد السلام حمدان اللوح – بحث منشور بمجلة جامعة الخليل للبحوث ، فلسطين– المجلد الثاني ، العدد الأول ، ٢٠٠٥م ، ص١٠٧ .

- تتسم الحقائق في القرآن بالاستقرار بينما تخضع النظريات العلمية إلى التغيير المستمر والتعديل والنقص و الإضافة، ومن ثم فلا يصح تعليق الحقائق القرآنية النهائية على مثل تلك النظريات مما يذهب بقداسة القرآن .
- لم يرد التفسير العلمي عن السلف لذلك كانت الدعوة إليه دعوة إلى الانصراف عن التفسير الذى بلغنا عن مدرسة النبوة، كل هذه الأسباب وغيرها جعلت التفسير العلمي في نظرهم تكلفًا مغلوطًا والتزامًا بما لا يلزم يحول القرآن عن طبيعة دعوته التي تفرد بها ولا يُمكن لغيره أن يحل محله في القيام بها، وهذه الأمور التي استندوا إليها لم تسلم من النقد [1] .

المبحث الثاني

المؤيدون للتفسير العلمي

يُمكن الجزم بأنَّ المؤيدين للتفسير العلمي أكثر عددًا من المعارضين كما أنهم يزدادون على مر السنين في مقابل انحسار أعداد المعارضين [2]، وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أمرين:

- **الأول:** تفاوت المؤيدين في درجة التأييد للتفسير العلمي فإنَّ منهم من يدعو إلى وضع جملة من الضوابط والشروط لتأييده وقبوله، ومنهم من يُؤيد التفسير العلمي ويستخدمه دون قيود .

---

(١) يُنظر في هذه الأمور التي استندوا إليها، والرد عليهم ما يلي:

- التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق – د/هند شلبي – ص ٣٨ : ٤٣ .
- مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة – د/زغلول النجار – ص٨٩ : ١٠٦ .
- بحوث في أصول التفسير ومناهجه – د/فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي – الناشر: مكتبة التوبة ، الرياض – الطبعة الرابعة (١٤١٩هـ)– ٩٧ : ٩٨ .

(١) يُنظر في أبرز المؤيدين للتفسير العلمي، ومناقشة آراؤهم :

- التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق – د/هند شلبي – ص ٤٤ : ٥٠
- التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم "جذوره وتطبيقاته و الموقف منه" – للشدي – ص٦٣ : ٦٧ .
- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – د/فهد الرومي – ج٢ ص٥٦٤ : ٥٧٧ .

- **الثاني:** اختلاف المؤيدين في تخصصهم العلمي، فمنهم العالِم الشرعي المتخصص، ومنهم الطبيب والفلكي والمهندس والأديب والواعظ، وكل هؤلاء يشتركون في دعوتهم إلى التفسير العلمي وتأييدهم لـه [١]، ويُمكن تصنيف المؤيدين للتفسير العلمي إلى فريقين:-

الفريق الأول: المؤيدون مطلقا:-

إنَّ الحديث عن هؤلاء المؤيدين المسرفين حديث لا يقل أهمية عن الحديث عمّن سبق تناولهم وهم المعارضون، ذلك لأنهم على طرفي نقيض [٢]، وأصحاب هذا المذهب يعتقدون أن القرآن حوى جميع العلوم دون استثناء، وهي فكرة قديمة نشأت مع دخول الفلسفة اليونانية في الفكر الإسلامي وعُرفت بقضية "التوفيق بين الحكمة والشريعة"، والأساس الذى أقام عليه فلاسفة الإسلام هذه الفكرة يتمثل في اعتبار أنَّ كل من الشريعة والحكمة حق، والحق لا يضاد نفسه فلابد من التقائهما في النتائج وإن اختلفت مناهجهما في البحث عن الحقيقة [٣]، ويُمثل هذا المذهب من القدامى الأمام أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ)، والفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، وغيرهم، ومن المعاصرين طنطاوي جوهري، وعبد الرحمن الكواكبي [٤].

وقد ذكر الباحث طرفًا من أقوال القدامى كالإمام الغزالي وتم مناقشة آراؤه [٥]، وسيكتفي الحديث هنا عن أقوال بعض المعاصرين، ومنهم:

---

(٢) التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم "جذوره وتطبيقاته و الموقف منه" – للشدي – ص٦٣ .

(٣) التفسير العلمي بين القبول والرد "عرضاً ودراسة" – د/عبد السلام حمدان اللوح – ص١١٣ . .

(٤) التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق – د/هند شلبي – ص ٤٤ .

(٥) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكواكبي، ويلقب بالسيد الفراتي: رحالة، من الكتاب الأدباء، ومن رجال الإصلاح الإسلامي، ولد سنة (١٨٤٩م) وتعلم في حلب، وأُسندت إليه مناصب عديدة، ثم حنق عليه أعداء الإصلاح، فسعوا به، فسجن وخسر جميع ماله، فرحل إلى مصر. وساح سياحتين =

= عظيمتين إلى بلاد العرب وشرقي إفريقية وبعض بلاد الهند. واستقر في القاهرة إلى أن توفي. له من الكتب و (طبائع الاستبداد) وغيره توفي سنة (١٩٠٢م) . **يُنظر:** الأعلام – للزركلي – ج٣ ص٢٩٨ .

(١) وقد ذكر الباحث ذلك عند الحديث عن نشأة التفسير العلمي، وذلك في المبحث الثاني من الفصل الأول . يُنظر ص ٧٣ من هذه الدراسة .

١) عبد الرحمن الكواكبي (ت ١٣٢٠هـ):

حيث انحاز الكواكبي – رحمه الله – انحيازًا كبيرًا إلى هذا اللون من ألوان التفسير فيصف القرآن الكريم بأنه " شمس العلوم وكنز الحكم"، ويُقرر بأنَّ السر في إحجام العلماء عن تفسير قسمي الآلاء والأخلاق من القرآن وبيان ما يشتمل عليه من العلوم المختلفة هو: " أنهم يخافون مخالفة رأي بعض السلف القاصرين في العلم فيُكفَّرون فيقتلون" ثم يقول: وهذه مسألة إعجاز القرآن وهي أهم مسألة في الدين لم يقدروا أن يوفرها حقها من البحث، واقتصروا على ما قاله بعض السلف أنها هي فصاحته وبلاغته "، كما أنه يرى أن القرآن الكريم سبق علماء أوربا وأمريكا بثلاثة عشر قرنًا إلى كثير من الاكتشافات التي تُعزى إليهم، فيقول: " إنَّ العلم كشف في هذه القرون الأخيرة حقائق وطبائع كثيرة، تُعزى لكاشفيها ومخترعيها من علماء أوربا وأمريكا، والمُدقق في القرآن يجد أكثرها ورد به التصريح أو التلميح في القرآن منذ ثلاثة عشر قرنًا، وما بقيت مستورة تحت غشاء من الخفاء إلا لتكون عند ظهورها معجزة للقرآن، شاهدة بأنه كلام ربٍّ لا يعلم الغيب سواه " [١].

٢) طنطاوي جوهري (ت ١٣٥٨هـ):

صنّف الشيخ الجوهري تفسيرًا أسماه "الجواهر في تفسير القرآن الكريم، المشتمل على عجائب المكنونات وغرائب الآيات الباهرات"، وقد جمع فيه من العلوم والمعارف ما أخرجه من كونه كتاب تفسير، فقد استطرد فيه مع كل علم، وجمع فيه كلّ غريب، ورسم فيه صورًا متنوعة عن النباتات والأعشاب والحيوانات والطيور إلى غير ذلك من الكائنات [٢].

وإن المؤلف – رحمه الله – ليقرر في تفسيره أنَّ في القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وخمسين آية، في حين أن علم الفقه لا تزيد آياته الصريحة على مائة وخمسين آية، كما يقرر أن الإسلام جاء لأُمم كثيرة، وأن سور القرآن متممات لأُمور أظهرها العلم الحديث [٣].

---

(٢) يُنظر: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد – لعبد الرحمن الكواكبي (ت ١٣٢٠هـ) – تقديم: د/أسعد السحمراني – الناشر: دار النفائس (بيروت ، لبنان) – الطبعة الثالثة (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) – ص٤٤ بتصرف ، **وينظر أيضًا:** اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – د/فهد الرومي – ج٢ ص٥٦٦ .

(٣) التفسير العلمي بين القبول والرد "عرضاً ودراسة" – د/عبد السلام حمدان اللوح – ص١١٨ : ١١٩ .

(١) التفسير والمفسرون – للذهبي – ج٢ ص٣٧١ .

وقد ذكر – رحمه الله – في المقدمة سبب تأليفه لهذا التفسير الكبير بحجمه وبعلومه ومعارفه، حيث قال: " أما بعد، فإني خُلقت مغرمًا بالعجائب الكونية، ومعجبًا بالبدائع الطبيعية، ومشوقًا إلى ما في السماء من جمال، وما في الأرض من بهاء وكمال" (١) .

فالتفسير العلمي في وجهة نظر الشيخ طنطاوي جوهري له مهمة لابد أن يقوم بها، حيث يقول: " وإني لعلى رجاء أن يُؤيد الله هذه الأُمة بهذا الدين، وينسج على منوال هذا التفسير المسلمون، وليُقرَأنّ في مشارق الأرض ومغاربها مقرونًا بالقبول، وليولعن بالعجائب السماوية والبدائع الأرضية الشبان الموحِّدون" إلى أنْ قال: " وليقومن من هذه الأمة مَن يفوقون الفرنجة في الزراعة، والطب، والمعادن، والحساب، والهندسة، والفلك، وغيرها من العلوم والصناعات" (٢) .

ويقول في موضع آخر: "يا أمة الإسلام؛ آيات معدودات في الفرائض اجتذبت فرعًا من علم الرياضيات، فما بالكم أيها الناس بسبعمائة آية فيها عجائب الدنيا كلها، هذا زمان العلوم، وهذا زمان ظهور نور الإسلام، هذا زمان رقيه، يا ليت شعرى، لماذا لا نعمل في آيات العلوم الكونية ما فعله آباؤنا في آيات الميراث؟ ولكني أقول: والحمد لله إنك تقرأ في هذا التفسير خلاصات من العلوم ودراستها أفضل من دراسة علم الفرائض؛ لأنه فرض كفاية، فأما هذه فإنها للازدياد في معرفة الله، وهي فرض عين على كل قادر" (٣) .

فقد غَالى الشيخ الجوهري في تفسيره هذا غلوًا كبيرًا (٤) دون وضع قيود وضوابط لذا لم يسلم من النقد، "حتى قيل في تفسيره: إنَّ فيه كل شيء ما عدا التفسير!، وقد أُخذت على هذا المفسّر أمور كثيرة أهمها: تحميل النص القرآني ما لا يحمله مهما نتعسّف في التأويل(٥) .

---

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم ، المشتمل على عجائب المكنونات وغرائب الآيات الباهرات – للشيخ/طنطاوي جوهري (ت ١٣٥٨ه) – الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي – الطبعة الثانية (١٣٥٠ه) – ج١ ص٢ .

(٣) نفس المرجع السابق – ج١ ص٣ .

(٤) نفس المرجع السابق – ج٣ ص١٩ .

(٥) يُمكن النظر لتفسيره لبعض الآيات الكريمة والرد عليه في:

- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – د/فهد الرومي – ج٢ ص٦٣٨ : ٦٧٦ .
- التفسير والمفسرون – للذهبي –ج٢ ص٣٧٢ : ٣٨١ .

(٦) معالم الشريعة الإسلامية – د/صبحي الصالح – الناشر: دار العلم للملايين (بيروت ، لبنان) – الطبعة الرابعة (١٩٨٢م) – ص٢٩٣ .

فقد حمّل الشيخ الجوهري تفسيره علومًا لا تُعد ولا تُحصى وقد أسرف واستطرد وأفرط بلا حدود في تحميل الآيات مالا تحتمل، وهو المراد بليِّ عُنق الآية لتوافق نظرية علمية مع التباعد بينهما، وكأن تفسيره دائرة معارف علمية، فهو كتاب علمي أقرب منه أن يكون كتاب تفسير للقرآن، فإنَّ مثل هذا النهج يخرج بالتفسير عن طبيعته، فأين جانب الهداية والتشريع في كتاب الله؟ إننا لا نُنْكر أن يكون في القرآن من الإشارات والحقائق العلمية الشيء الكثير بما يكشف عنه العلم تباعًا عصرًا بعد عصر، وجيلًا بعد جيل، ولكن ليس إلى هذا الحد من الإسراف بحيث تطغى على غيرها من أهداف القرآن ومراميه، وإنا لا نُنْكر هدف الشيخ الإصلاحي، وحرصه على رُقي الأمة الإسلامية، ولكن ليس بهذا الإفراط، ولعل إسرافه هذا قد دعا العلماء إلى نقده وبيان تجاوزه" [1] .

يقول الدكتور الذهبي: " والكتاب - كما ترى - موسوعة علمية، ضربت في كل فن من فنون العلم بسهم وافر، مما جعل هذا التفسير يُوصف بما وُصِف به تفسير الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، فقيل عنه: فيه كل شيء إلا التفسير، بل هو أحق من تفسير الفخر بهذا الوصف وأولى به، وإذا دلَّ الكتاب على شيء، فهو أن المؤلف رحمه الله كان كثيرًا ما يسبح في ملكوت السموات والأرض بفكره، ويطوف في نواح شتَّى من العلم بعقله وقلبه، ليُجلي للناس آيات الله في الآفاق وفى أنفسهم، ثم ليُظهر لهم بعد هذا كله أن القرآن قد جاء متضمنًا لكل ما جاء ويجيء به الإنسان من علوم ونظريات، ولكل ما اشتمل عليه الكون من دلائل وأحداث، تحقيقًا لقول الله تعالى فى كتابه: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[2]، ولكن هذا خروج بالقرآن عن قصده، وانحراف به عن هدفه" [3] .

التعقيب على هذه الآراء:

وبهذا يغلب على هذا الاتجاه الإفراط وقلة التحري والخروج عن كون المراد البيان إلى كونه أبحاثًا شاملة فكم فُسرت الآية بالنظريات، ولذلك انتقد هذا الاتجاه كثير من المعاصرين كالشيخ محمود شلتوت [4] .

وتُعلق الدكتورة هند شلبي على هؤلاء المتحمسين من المعاصرين: "ولا يخفى أنَّ النقد الذى تمت به معارضة هذا الاتجاه يُعتبر في محله، فمن يقف على تأليف فريق المتحمسين للتفسير العلمي أمثال طنطاوي الجوهرى، وغيره يلاحظ أنهم قد

---

(١) التفسير العلمي بين القبول والرد "عرضاً ودراسة" – د/عبد السلام حمدان اللوح – ص١٢٠ بتصرف يسير .

(٢) سورة الأنعام ، من آية رقم : ٣٨ .

(٣) التفسير والمفسرون – للذهبي –ج٢ ص٣٧٩ .

(٤) تفسير القرآن الكريم " الجزاء العشرة الأولى " – للشيخ/ محمود شلتوت – ص١٣ : ١٤ .

حملوا الآيات ما لا تتحمله من معاني، واعتبروا عملية القرآن مجرد إشارة بالكلمة العادية يبنون عليها علما كاملاً في كلياته وجزئياته" [١] .

الفريق الثاني: المعتدلون:-

ويُمثل هذا الاتجاه المعتدل في التفسير العلمي: الشيخ محمد عبده (ت ١٣٢٢هـ)، والشيخ مصطفى صادق الرافعي (ت ١٣٥٥هـ)، والدكتور محمد عبد الله دراز (ت ١٣٧٧ هـ)، والشيخ الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، والشيخ محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٩هـ)، وأخرون كثيرون [٢]، وفيما يلي ذكر طرفًا من أقوال الشيخ الطاهر بن عاشور والشيخ الشعراوي للوقوف على آرائهم المعتدلة، واختيار الباحث لهما لعدم الإطالة، ولكونهما أصحاب تفاسير مشهورة .

١) الشيخ الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ):

يُعد الإمام ابن عاشور من العلماء الذين عاصروا النهضة العلمية، وتأثروا بها ويظهر ذلك في تفسيره التحرير والتنوير، وفيما يلي ذكر بعض من كلامه في مقدمة تفسيره لنرى رأيه في التفسير العلمي من خلال رأيه في الإعجاز العلمي، حيث يقول: " إنَّ العلم نوعان علم اصطلاحي وعلم حقيقي، فأما الاصطلاحي فهو ما تواضع الناس في عصر من الأعصار على أنَّ صاحبه يُعد في صف العلماء، وهذا قد يتغير بتغير العصور ويختلف باختلاف الأمم والأقطار، وهذا النوع لا تخلو عنه أمة، وأما العلم الحقيقي فهو معرفة ما بمعرفته كمال الإنسان، وما به يبلغ إلى ذروة المعارف وإدراك الحقائق النافعة عاجلا وآجلا" [٣] .

ثم ذكر اشتمال القرآن الكريم على النوعين، ومما ذكر في النوع الثاني: " وأما النوع الثاني من إعجازه العلمي فهو ينقسم إلى قسمين: قسم يكفي لإدراكه فهمه وسمعه، وقسم يحتاج إدراك وجه إعجازه إلى العلم بقواعد العلوم فينبلج للناس شيئًا فشيئا انبلاج أضواء الفجر على حسب مبالغ الفهوم وتطورات العلوم، وكلا القسمين دليل على أنه من عند الله لأنه جاء به أُمي في موضع لم يعالج أهله دقائق العلوم "، إلى أنْ قال: " وهذه الجهة من الإعجاز إنما تثبت للقرآن بمجموعه أي مجموع هذا الكتاب إذ ليست كل آية من آياته ولا كل سورة من سوره بمشتملة على هذا النوع من الإعجاز، ولذلك فهو إعجاز حاصل من القرآن

---

(١) التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق – د/هند شلبي – ص٤٨ : ٤٩ .

(٢) نفس المرجع السابق – ص٥٢ .

(٣) التحرير والتنوير – لابن عاشور – ج١ ص١٢٦ .

وغير حاصل به التحدي إلا إشارة نحو قوله: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [1]، [2] .

فموقف الإمام ابن عاشور وسطي معتدل من التفسير العلمي، حيث حاول التوفيق بين العلوم الأخرى والمعاني القرآنية، ورتّب – رحمه الله – علاقة العلوم المختلفة بالقرآن على أربع مراتب:

- **الأولى:** علوم تضمنها القرآن كأخبار الأنبياء والأمم، وتهذيب الأخلاق والفقه والتشريع والاعتقاد والأصول والعربية والبلاغة .
- **الثانية:** علوم تزيد المفسر علمًا كالحكمة والهيأة وخواص المخلوقات .
- **الثالثة:** علوم أشار إليها أو جاءت مؤيدة له كعلم طبقات الأرض والطب والمنطق .
- **الرابعة:** علوم لا علاقة لها به إما لبطلانها كالزجر [3] والعيافة [4] والميثولوجيا [5]، وإما لأنها لا تعين على خدمته كعلم العروض والقوافي [1] .

---

(١) سورة النساء ، من آية رقم: ٨٢ .

(٢) التحرير والتنوير – لابن عاشور – ج١ ص١٢٧ : ١٢٩ ، **وينظر أيضًا:** الإعجاز العلمي إلى أين – د/مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار – الناشر: دار ابن الجوزي (جدة ، السعودية) – الطبعة الثانية (١٤٢٢ه) – ص١٧٥ : ١٧٦ .

(٣) علم الطيرة والزجر: عكس علم الفأل إذ المطلوب في الفأل طلب الإقدام على الأمر، وفي الزجر طلب الهرب عن الأمر، وهو تشاؤم الإنسان بشيء يرد المناظر والمسامع، مما تنفر منه النفس . **ينظر:** مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم – لأحمد بن مصطفى الشهير "بطاش كبرى زاده" – الناشر: دار الكتب العلمية (بيروت ، لبنان) – الطبعة الأولى (١٤٠٥ه/١٩٨٥م) – ج١ ص٣٣٨ .

(٤) علم قيافة الأثر ويُسمى علم القيافة: وهو علم باحث عن تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر، في الطرق القابلة للأثر، وهي التي تكون تربة حرة تتشكل بشكل القدم. **يُنظر:** نفس المرجع السابق – ج١ ص ٣٢٨ .

(٥) الميثولوجية Mythology والتي اصطلح على ترجمتها إلى علم الأساطير هو مصطلح معرب عن اليونانية، ويُطلق على العلم الذي يعنى بدراسة منشأ الأسطورة وتطورها، وبدراسة أساطير الشعوب والعلاقات المتبادلة بين هذه الأساطير . نقلا عن موقع ويكبيديا https://cutt.us/ejY8G

فالإمام ابن عاشور حينما يأخذ بهذا الوجه من الإعجاز القرآني إنما يأخذ به في اعتدال، فهو لم يكن ممن أنكروا ذلك، ولم يكن أيضًا ممن أُغرق في النظريات العلمية، واسترسل مع دقائقها وأسرف في ذلك، ولعل هذا هو المنهج الراشد في هذا الموضوع، ويشترط الإمام ابن عاشور لصحة هذه الطريقة أنْ يسلك فيه مسلك الإيجاز، حيث يقول: " وشرط كون ذلك مقبولًا أن يسلك فيه مسلك الإيجاز فلا يجلب إلا الخلاصة من ذلك العلم ولا يصير الاستطراد كالغرض المقصود له لئلا يكون كقولهم السِّيُّ بِالسِّيِّ يُذْكَرُ" (٢) .

٢) الشيخ محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٩هـ):

يُعد الشيخ الشعراوي – رحمه الله – من المعتدلين في الأخذ بالتفسير العلمي، فهو يرى أنَّ التفسير العلمي وإعجاز القرآن الكريم مُتجدد عبر العصور والأجيال إلى قيام الساعة، كما أنَّه انتقد من يأخذون بالنظرية العلمية، ويتسرعون في تفسير القرآن بها، حيث يقول تحت عنوان: القرآن .. والنظريات العلمية: " محاولة ربط القرآن بالنظريات العلمية، وهذا أخطر ما نواجهه؛ ذلك أنَّ بعض العلماء في اندفاعهم في التفسير وفي محاولاتهم ربط القرآن بالتقدم العلمي يندفعون في محاولة ربط كلام الله بنظريات علمية مكتشفة يثبت بعد ذلك أنها غير صحيحة، وهم في اندفاعهم هذا يتخذون خطوات متسرعة، ويحاولون اثبات القرآن بالعلم، والقرآن ليس في حاجة إلى العلم ليثبت، فالقرآن ليس كتاب علم، ولكنه كتاب عبادة ومنهج، ولكن الله ﷻ في علمه عَلِمَ أنه بعد عدة قرون من نزول هذا الكتاب الكريم سيأتي عدد من الناس، ويقولون انتهى عصر الإيمان وبدأ عصر العلم، ولذلك وضع في قرآنه ما يعجز هؤلاء الناس، ويثبت أنَّ عصر العلم الذي يتحدثون عنه قد بينه القرآن في صورة حقائق الكون، بينه كحقائق كونية منذ أربعة عشر قرنًا، ولم يكتشف العقل البشري معناها إلا في السنوات الماضية، ولقد قلت أنَّ عطاء القرآن الكريم مُتجدد مصداقًا للآية الكريمة ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(٣) .

ويجب أن ننتبه هنا إلى حرف السين في كلمة ﴿ سَنُرِيهِمْ ﴾ لأنَّ معناها المستقبل، والمستقبل هنا لا ينتهي، بل أن عطاءه مستمر لهذا الجيل والجيل الذي بعده، والجيل الذي بعده إلى يوم القيامة، ومن هنا فإنَّ الله سبحانه قد أعلمنا أنَّ

---

(٦) التحرير والتنوير – لابن عاشور – ج١ ص٤٥ .

(٧) نفس المرجع السابق – ج١ ص٤٣ .

(١) سورة فصلت ، من آية رقم : ٥٣ .

هناك حقائق وآيات سيكشف عنها كل جيل، ولكن ليس معنى هذا أنْ نحمل معاني القرآن أكثر مما تحتمل، وأن نتعامل معه على أساس أنه كتاب جاء ينبئنا بعلوم الدنيا، فالقرآن لم يأتِ ليعطينا أسرار علم الهندسة أو علم الفلك أو علم الفضاء، إلى آخر هذا، ولكن القرآن يبدأ من أول سورة بعد الفاتحة، وهي سورة البقرة ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾[1] أي: أنه كتاب هُدى، ولكن الله سبحانه وضع في كتابه الكريم ما يُمكن أنْ نرد به على الذين يُحاربون هذا الدين حتى يوم القيامة "[2] .

التعقيب على هذه الآراء:

وبهذا يظهر لنا راي المعتدلين في القول بالتفسير العلمي من خلال ما كتبوا، وكيف أنهم تجنبوا الوقوع فيما وقع فيه السابقون من إفراط أو تفريط، فكان رأيهم أقرب إلى الحق والعدل، وكان فيه من التحري ما يدعو إلى قبوله والتسليم به، فقد لاحظ هؤلاء العلماء في القرآن بعض الأمور يُمكن إجمالها فيما يلى:-

- أولًا: أنَّ القرآن ذكر حقائق لم تكن معروفة زمن نزوله، ثم اكتشفها العلم الحديث واتفق فيها مع ما ذكره القرآن بشأنها.
- **ثانيًا:** وجود كلمات في القرآن لا يمكن إدراك حقيقة المراد منها إلا على ضوء تطور العلم في دائرة الاختصاص التي تنتمى إليها .
- **ثالثًا:** أنَّ الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السماوات والأرض، وتعاقب الليل والنهار وغير ذلك، ذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جائز لما ملأ الله كتابه منها .
- **رابعًا:** أنه تعالى قال: ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦ ﴾[3]، فالاستفهام في ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ ﴾ غرضه الحثّ على النظر والتأمل في خلق السماوات وما فيها من آيات ومعجزات؛ لأنَّ هذه الآيات هل دليل القدرة [4] .

---

(٢) سورة البقرة ، الآيتان ١ : ٢ .

(٣) معجزة القرآن – للشعراوي – ج١ ص٨٥ : ٨٦ .

(١) سورة ق ، آية رقم : ٦ .

(٢) تفسير الشعراوي – ج٢٣ ص١٤٥٠٨ .

- **خامسًا:** أنَّ في التفسير العلمي إدراكًا لوجوه جديدة للإعجاز في القرآن .
- **سادسًا:** أنه يملأ النفس ايمانًا بعظمة الله وقدرته حينما يقف الإنسان في تفسير كلام الله على خواص الأشياء ودقائق المخلوقات حسب ما تصورها علوم الكون .
- **سابعًا:** دفع مزاعم القائلين بأنَّ هناك عداوة بين العلم والدين
- **ثامنًا:** تكريم القرآن الكريم للعلم والعلماء – بمن فيهم من علماء الكونيات – في العديد من آيات الذكر الحكيم نختار منها قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[٣] فقد وردت هذه الآية الكريمة بعد استعراض لكثير من المشاهد الكونية، مما يؤكد أنها تشمل علماء الكونيات وإن لم يكونوا هم المقصودين بها مباشرة[٢] .

وبعد هذا العرض لآراء العلماء في التفسير العلمي **يرى الباحث** بأنه لا رفض له مطلقًا ولا تأييد وتسليم له مطلقين، بل جمع بين حقيقتين: حقيقة قرآنيه بالنص، وأخرى عملية ثابتة بالتجربة والمشاهدة القطعيين، فالقرآن الكريم لم ولن يصادم حقيقة علمية، وإنما يقع التصادم عندما تُفسر آياته الكريمة بنظرية علمية على أنها حقيقة علمية ثم يتبين بعد ذلك عدم صدق وصحة هذه النظرية، وبناء على ذلك لا بأس إذن من ايراد حقائق علمية ثابتة لا تقبل الشك عند تناول النص القرآني مع إدراك معنى النص وفهمه فهمًا سليمًا، وهذا كله مشروط بشروط وضوابط يجب مراعاتها للبحث في التفسير العلمي للقرآن الكريم كما سيبين الباحث في الفصل التالي .

---

(٣) سورة فاطر ، من آية رقم : ٢٨ .

(١) يُراجع في هذه الأدلة:

- التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق – د/هند شلبي – ص ٥٥ : ٦٣ .
- بحوث في أصول التفسير ومناهجه – د/فهد الرومي – ص٩٧ .
- مناهل العرفان في علوم القرآن – للزرقاني – ج١ ص١٠٠ : ١٠١ .
- مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة – د/زغلول النجار – ص١٢١ : ١٢٦ .

الخاتمة:

ظهر لنا من خلال هذه الدراسة أن التفسير العلمي له جذور قديمة في العلوم الإسلامية وأن فترة انتشاره وذيوعه كانت في تلك الفترة التي حاول فيها بعض علماء المسلمين استخدام هذا المنهج ليثبتوا للغرب أن اتهاماتهم للإسلام والمسلمين بالجمود والرجعية دعوة عارية عن الدليل، وقد انقسم العلماء في الوقت الحاضر إلى فريقين في قبول التفسير العلمي فمنهم من أيده مطلقا ومنهم من رفضه مطلقا، ومن العلماء من كن معتدلا في قبوله للتفسير العلمي، وتبين أن الذين رفضوا التفسير العلمي وهاجموه كان لهم العذر في ذلك لأنهم تكلموا في أغلب الأحيان عن نماذج من هذا اللون شط أصحابها في تفاسيرهم للقرآن فادخلوا فيه ما ليس منه، فمن الأولى تفسير القرآن الكريم بما ثبت من حقيقة علمية .

المصادر والمراجع:

١) اتجاهات التفسير في العصر الراهن – د/ عبد المجيد عبد السلام المحتسب (ت ١٤٣٤هـ) – الناشر: منشورات مكتبة النهضة الإسلامية ، عمان / الأردن – الطبعة الثالثة (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .

٢) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – د/ فهد بن عبد الرحمن الرومي – الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – الطبعة الثالثة (١٤١٨هـ/١٩٩٧م) .

٣) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – د/ فهد بن عبد الرحمن الرومي – الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت – الطبعة الثالثة (١٤١٨هـ/١٩٩٧م) .

٤) البرهان في علوم القرآن – لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) – تحقيق: محمد أبو الفضل – الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه – الطبعة الأولى (١٣٧٦هـ/١٩٥٧م) .

٥) التفسير : نشأته ، وتدرجه ، وتطوره – أ/ أمين الخولي – الناشر: دار الكتاب اللبناني (بيروت) – طبعة (١٩٧٢) .

٦) التفسير العلمي بين القبول والرد "عرضًا ودراسة" – د/عبد السلام حمدان اللوح – بحث منشور بمجلة جامعة الخليل للبحوث ، فلسطين– المجلد الثاني ، العدد الأول ، ٢٠٠٥م .

٧) التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق – د/هند شلبي – الناشر: مطبعة تونس قرطاج – طبعة (١٤٠٦ه/١٩٨٥م) .

٨) التفسير العلمي للقرآن في الميزان – د/ أحمد عمر أبو حجر – الناشر: دار المدار الإسلامي ، بيروت – الطبعة الثانية (٢٠٠١م) .

٩) تفسير القرآن الكريم " الجزاء العشرة الأولى " – للشيخ/ محمود شلتوت (ت ١٣٨٣ه) – الناشر: دار الشروق (القاهرة) – الطبعة الثانية عشرة (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) .
١٠) التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم – لأمين الخولي (ت ١٣٨٥هـ) – الناشر: دار الكتاب اللبناني الأولى – طبعة سنة (١٩٨٢م) .
١١) التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم – لأمين الخولي (ت ١٣٨٥هـ) – الناشر: دار الكتاب اللبناني الأولى – طبعة سنة (١٩٨٢م) .
١٢) التفسير والمفسرون – د/محمد السيد حسين الذهبي (ت ١٣٩٨هـ) – الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة – بدون ذكر تاريخ ورقم الطبعة .
١٣) كيف نتعامل مع القرآن – للغزالي، محمد أحمد السقا الغزالي (ت ١٤١٦ه) – الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة السابعة (٢٠٠٥م) .
١٤) لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير – د/ محمد لطفي الصباغ – الناشر: المكتب الإسلامي ، بيروت / لبنان – الطبعة الثالثة (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) .
١٥) المحيط في اللغة – لإسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم ، المشهور بالصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) – تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين – الناشر: بيروت / لبنان – الطبعة الأولى (١٤١٤هـ/١٩٩٤م) .
١٦) مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة – د/زغلول راغب محمد النجار – الناشر: دار المعرفة (بيروت ، لبنان) – الطبعة الأولى (١٤٣٠ه/٢٠٠٩م) .
١٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت ٧٧٠هـ) – تحقيق: د/ عبد العظيم الشناوي– الناشر: دار المعارف ، القاهرة – الطبعة الثانية (١٩٧٧م) .
١٨) معالم الشريعة الإسلامية – د/صبحي الصالح – الناشر: دار العلم للملايين (بيروت ، لبنان) – الطبعة الرابعة (١٩٨٢م) .
١٩) معجم مقاييس اللغة – لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) – تحقيق: عبد السلام محمد هارون – الناشر: دار الفكر – طبعة (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) .
٢٠) من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم – د/ زغلول النجار – الناشر: مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة – الطبعة الثالثة عشر (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)
٢١) من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم – د/ زغلول النجار – الناشر: مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة – الطبعة الثالثة عشر (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)

٢٢) الموافقات – للشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ) – تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان – الناشر: دار ابن عفان (القاهرة) – الطبعة الأولى (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) .